الأموال السوداء

محمود سالم

الأموال السوداء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الأموال السوداء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٨١٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
عملية ... تنظيف الأموال!	١١
ملك تنظيف الأموال!	١٧
النجم المشتعل!	٢١
رقصة النمر!	٢٥
معركة فوق المحيط!	٢٩
شكوك ... واحتمالات!	٣٣
في المصيدة!	٣٧
سباق مع الزمن!	٤١
الجحيم المشتعل!	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

عملية ... تنظيف الأموال!

كانت صالةُ الجمانيزيوم بمقرِّ الشياطين السري حافلةً بالنشاط، وقد تناثرَت الأجهزةُ الرياضية الحديثة في أركان الصالة المتسعة. وراح الشياطين يُمارسون تدريباتِهم الرياضية العنيفة عليها.

كان هذا هو النشاط الأكثر أهمية بالنسبة للشياطين، عندما لا تكون هناك مهمةٌ تَشْغلهم، وكان قد انقضى وقتٌ ليس بالقصير منذ آخر مهمة للشياطين الـ «١٣» ... ومن هنا كانت جديَّتُهم وحماسُهم في صالة التدريب للاحتفاظ بلياقتهم عاليةً استعدادًا لأيِّ مهمة قادمة، أما في ركن القاعة فكان يجري مشهدٌ آخر ... حيث كان الشيطان الأسمر «عثمان» يقوم بتدريبات من نوع آخر ... كانت حركاتُه تبدو كما لو أنه يمارس رقصةً استعراضية عجيبة، أو طقسًا من الطقوس السحرية القديمة ... غير أنه في الحقيقة كان يقوم بأداء بعضِ التدريبات الاستعراضية لرياضة الـ «كونغو فو»، تلك الرياضة الشبيهة بالكاراتيه ... غير أنها أكثرُ خطرًا ... بحيث إن ضربةً واحدة منها قد تكون هي القاتلة ... وحيث تمتلئ تلك اللعبةُ الرياضية الصينية بحركاتٍ استعراضية لا مثيلَ لها ... حيث يُشبِه بعضُها «حركة الثعبان» أو «وثبة النمر»، وتأخذ نفسُ الحركات أسماءَها من تلك الحيوانات.

توقَّفَت «إلهام» عن ممارسة الألعاب السويدية التي كانت تقوم بها ... وراقبَت «عثمان» باسمةً، وانضمَّ إليها «أحمد» وهو يقول: إن صديقنا «عثمان» ماهرٌ حقًّا في الـ «كونغو فو»، حتى إنني لا أشك أنه قد يتغلَّب على أبطالها إذا ما صارعهم.

إلهام: هكذا هم الشياطين ... إذا مارسوا شيئًا أتقنوه إلى درجة الامتياز ... فهذا هو شعارنا ...

أحمد: أرجو أن يعثرَ «عثمان» على مهمة تحتاج إلى مواهبه الجديدة.

وفي نفس اللحظة لمَعَت اللمبة الحمراء الصغيرة في مقدمة صالة الجمانيزيوم مصحوبة بموسيقى خفيفة. وكان هذا يعني الانتباهَ بالنسبة للشياطين، وأن هناك رسالةً عاجلة إليهم. وأنصتَ الشياطين في ترقُّبٍ ولم يَطُل انتظارهم؛ فقد كان هناك استدعاءٌ عاجل لاثنين منهم؛ «أحمد»، و«عثمان» …

قالت «إلهام» باسمةً: يبدو أن الوقت قد حان ليقيس «عثمان» مواهبَه الجديدة بطريقة عملية.

ابتسم «عثمان» وتوقَّف عن أداء تمارينه وهو يجفِّف عرقه، ثم اتجه خارجًا من الصالة مع «أحمد»، وأخذ الاثنان حمَّامًا باردًا … وخلال أقل من عشر دقائق كانَا يأخذان مكانَهما في قاعة الاجتماعات.

كانت القاعة خالية … خافتةَ الإضاءة … تنبعث منها موسيقى شرقية هادئة تَبْعثُ على الاسترخاء.

فقال «عثمان»: أظن أن المهمة القادمة ستكون مهمةً صغيرة.

أحمد: ولماذا تظنُّ ذلك؟

عثمان: الاستدعاءُ غيرُ العاجل الذي اقتصر علينا نحن فقط … وتلك الموسيقى الهادئة …

أحمد: مَن يدري … إن أهدأَ المهام قد تنقلب إلى جحيم مشتعل لسببٍ ما … ولديَّ إحساسٌ بأن مهمتَنا القادمة بمكان ما في الشرق … ربما بسبب تلك الموسيقى الشرقية التركية.

– أنت على حقٍّ تمامًا يا «أحمد».

كان هذا هو صوت رقم «صفر» …

وفوجئ «أحمد» و«عثمان» بوجوده في مكانه المعتاد، وقد جلس إليه دون أن يُلاحظاه … ودون أن تظهرَ ملامحُه الغارقة في الظلام كالعادة … وأضاف رقم «صفر»: مرحبًا بكما … مضى وقتٌ منذ كانت آخر مهمة … وأسعدني أنكم جميعًا لم تُضيِّعوا لحظة واحدة … استعدادًا للمهمة القادمة … وهي تحتاج لكلِّ قدراتكما بالفعل …

تساءل «عثمان»: تُرى هل ستكون مهمتُنا القادمة في تركيا؟

رقم «صفر»: سوف تَجْري أحداثُ العملية القادمة في أماكن عديدة … غيرَ أنها ستحمل طابعَ الشرق … ورائحته؛ فإن الصيدَ الكبير الذي ستسعيانِ خلفه هذه المرة صيدٌ شرقيٌّ له مهارةُ الثعلب في التواري والاختفاء … وتوحُّش الذئب في الانقضاض …

صمت رقم «صفر» لحظة ... ربما ليُهيِّئَ الشيطانَين لما سيقوله ... وكان الفضول قد استبدَّ بـ «أحمد» و«عثمان»، فبقيَا صامتَين ينتظران ما سيقوله رقم «صفر» ...

– أنتما تعرفان أنه في عالمنا الآن توجد أنشطةٌ عديدة مشبوهة لا يمكن حصرها أبدًا؛ فكلُّ مجال من مجالات حياتنا الواسعة صار يمتلئ بالشر والعنف والعمليات المشبوهة، فكما أن هناك أخيارًا فهناك أشرار، وإذا كنَّا في كثير من الأحيان نقوم بالكشف عن مصادر الشرور وعقاب أصحابها وتخليص المجتمع من شرِّهم فإننا في أحيان أخرى لا نتمكَّن من ذلك، ولأسباب عديدة متنوعة.

وأضاف رقم «صفر» بعد لحظةِ صمتٍ: إن بعض هذه الأسباب قد يكون لبراعة هؤلاء الأشرار وقُدْرتهم على إخفاء أنشطتهم جيدًا ... وأحيانًا لأنهم يشغلون مناصب ذات حماية ... أو لأن هناك مَن يقوم بحمايتهم والتستُّر عليهم من أصحاب المناصب العليا ... فالمال قد بات يفعل الكثير في عالمنا، ومن أجله ينتصر الشرُّ ويبقى في أحيان كثيرة؛ لأن هناك دائمًا ضعافَ النفوس أمام المال ... خاصة إذا كان هذا المال بالملايين ... أو آلاف الملايين ... حيث يتم كلُّ شيء دائمًا بطرق قانونية لإبعاد الشبهة ... والمثل الواضح على ذلك هو البنوك السويسرية ... انتبه «أحمد» و«عثمان»، وقد ظهر على وجهَيهما بعضُ الدهشة ... كانَا لا يفهمان العلاقةَ بين أشرارِ العالم وطُرُقِهم الشيطانية وبين البنوك السويسرية أو النظام المالي العالمي.

أكمل رقم «صفر» قائلًا: لعلكما تندهشان لما قلتُه ... ولكن وكما قلت منذ لحظة بأن المال قادرٌ على أن يجذبَ ضعاف النفوس بل وأن يُقنِّن الشر ... وحتى عندما عرفنا كانت المفاجأة بالنسبة لنا كبيرةً جدًّا ... فقد اكتشفنا أن هناك نوعًا من الاحتيال بآلاف الملايين كان يتم إجراؤه بين هؤلاء الأشرار والمجرمين والمشبوهين، وبين بعض البنوك السويسرية العالمية فيما يسمَّى بعملية «تبييض الأموال».

صمت رقم «صفر» وتذكَّر «أحمد» أنه كان قد قرأ شيئًا عن هذا الموضوع في مجلة عالمية، وإن كان لم يُلمَّ به بالكامل.

أحمد: إن أرباح بعض الأنشطة الإجرامية يُقدَّر بآلاف الملايين من الدولارات ... هذه الأنشطة المحرَّمة المنوعة، ما بين القمار والمخدرات وتجارة الأسلحة والإرهاب وغيرها. هذه الأنشطة الإجرامية التي تُدِرُّ على أصحابها آلافَ الملايين كلَّ عام ... وبالطبع فإن أصحابها لا يمكن أن يحتفظوا بها في بيوتهم، ويكونون مضطرين لإيداعها في البنوك ... ولأن بنوك سويسرا هي الأشهر في هذا المجال بسبب ما توفِّره من سرِّية وحماية لهذه

الأموال ولأصحابها؛ لذلك اتجه إليها أصحابُ الأنشطة المشبوهة ليضعوا فيها أموالَهم بعيدًا عن العيون.

عثمان: ولكن ... حتى هذه البنوك لديها القوانين التي تنظِّم إيداعَ الملايين فيها، وهي تشترط أن تكون هذه الملايين معلومةَ المصدر ومن طريق شريف قبل أن تقبل بنوك سويسرا أو غيرها إيداعَ هذه الملايين بها.

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا يا «عثمان»، وما قلتُه منذ لحظة عن «تبييض الأموال» هو ببساطة تحويل هذه البلايين الناتجة من أرباح أنشطة محرمة، أو ما يُطلَق عليه اسم «أموال سوداء» ... إلى أموال بيضاء عن طريق القيام بعمليات عجيبة وغريبة لإثبات أن هذه الأموال ناتجة من تجارة عادية، وهذه العملية تتم من خلال عدة أساليب؛ فمثلًا إذا افترضنا أن هناك تاجرَ مخدرات لديه أرباحٌ بالملايين يرغب في إيداعها في بنوك سويسرا ... فإنه لا يقوم بإيداعها مباشرة ... بل يُنشئ شركةً وهمية تُمارس أيَّ نشاط، وفي نهاية العام تُقدَّر أرباح هذا النشاط بالملايين ... فيتم تحويل هذه الملايين إلى بنك عادي باعتبارها أرباح نشاط مشروع ... ثم يقوم هذا الشخص بتحويل هذه الملايين من بنك إلى آخر ولحساب أشخاص آخرين ... وبذلك لا يمكن لأحد إثبات أن هذه الأموال جاءت بطريق غير مشروع. وما قلتُه يعتبر مثلًا بسيطًا ... ففي ظل أرباح بالبلايين لتجارة المخدرات ... فإن الأمر يستلزم من أصحاب هذه التجارة إنشاء عشرات ومئات الشركات لإثبات أرباح وهمية تنتقل من بنك إلى بنك ومن شخص لآخر حتى تتحول إلى أموال نظيفة ... يصعب بل يستحيل إثبات أن مصدرها الأساسي هو تجارة المخدرات مثلًا ... وبذلك يعيش صاحبُها آمنًا مطمئنًا.

عثمان: هذا مذهل! ... ولكن ألَا تعرف البنوك التي تقبل هذه الملايين سرَّ تلك اللعبة الجهنمية؟

رقم «صفر»: إنها تعرف بكل تأكيد ... ولكن وكما قلت فإن المال يفعل الكثير ... وهذه البنوك أو بعضها تتظاهر أنها لا تعرف حقيقةَ ذلك المال ... وبمعنى أدق فإنها تُغمض عينَيها عن تلك الحقيقة؛ إما مقابل نسبة من هذا المال، وإما لكيلا يذهبَ العميل إلى بنك آخر يقبل هذه الأموال مهما كان مصدرها.

أحمد: إن هذا معناه وجود متورطين كثيرين في هذه اللعبة ...

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا يا «أحمد»، وهؤلاء المتورطون في سويسرا أو غيرها ممن لهم علاقةٌ مباشرة بالنظام المالي العالمي قد يكونون مديري بنوك أو ضباطَ شرطة

كبارًا أو حتى بعض القضاة وأصحاب الحصانة ... بالإضافة طبعًا إلى جيش من المحامين والمحاسبين البارعين في مثل تلك الألعاب المالية العالمية ... ليس هذا فقط ... بل إن هناك بعضَ الصغار أيضًا ممن يشتركون في هذه اللعبة وبطرقٍ مبتكرة تُبعدهم عن الشبهة ... فمثلًا إذا افترضنا أن هناك شخصًا ولنُسمِّه مستر «×» ... وأن هذا الشخص قام بخدمةٍ ما لتاجر مخدرات كبير يتعامل بالبلايين ... من ثَم استحقَّ «×» مبلغًا من المال مقابل هذا التعاون المشبوه ... وبالطبع فإن «×» لو تقاضَى مليون جنيه لتعاوُنِه، فقد يأتي مَن يسأله من رجال الشرطة عن مصدر هذه النقود ... ومن ثَم تُفتضَح علاقته بتاجر المخدرات الكبير ... فماذا يفعل «×» ليحميَ نفسه ويُبرِّرَ حصولَه على هذا المبلغ من المال ... إن الحل هنا جهنميٌّ بالفعل ... فعلى سبيل المثال أنتما تعرفان أن القمار تُدرُّ مبالغَ كبيرةً جدًّا في الغرب، لذلك يذهب مستر «×» إلى إحدى صالات القمار الكبيرة المنتشرة في «كان» أو «ينسى» أو «سان فرانسيسكو» أو غيرها من عواصم القمار العالمية ... ويلعب «×» القِمارَ على مبلغ صغير ... وقبل أن يغادر الصالة يكون قد ربح مليون جنيه في نفس المساء بضرباتِ حظٍّ متتالية ... وبالطبع فلا بد أنكما قد خمنتما بأن عملية الربح مدبَّرة ... لأن القائمين على صالة القمار هم أنفسهم من رجال تجار المخدرات.

عثمان: هذا مذهلٌ تمامًا! ... إنه تفكير جهنمي! ... ولا بد أن هناك العشرات من أمثال هذه الحِيَل التي تُتيح لهؤلاء المجرمين إثباتَ أنهم حصلوا على أموالهم الملوَّثة بطرق شرعية ...

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا ... وفي بعض الأحيان يتخفَّى الرأس الكبير وسط هذه الدوامة من العمليات البارعة ... ويقوم بأعماله المحرَّمة ويكسب البلايين من هذه التجارة المشبوهة، على حين يظل ظاهريًّا يمارس نشاطًا محترمًا لا يمكن لإنسان أن يشكَّ فيه ... ومن أجل ذلك وضعنا خطة مضادة في المقابل ... بمراقبة كازينوهات القمار وغيرها؛ بحيث إن كلَّ مَن يكسب مبلغًا ضخمًا بطريقة مفاجئة من مثل هذه الأعمال فإننا نعتبره متورِّطًا في نشاط مشبوه ... وقد ثبت صحةُ هذه النظرية بنسبة ٩٩٪ ... وكانت سببًا في كشفنا لأخطر شبكة لتنظيف أو تبييض الأموال ... وبالتالي استطعنا أن نعرف مَن هو مَلِك تنظيف الأموال في العالم. وظاهريًّا فإن هذا الرجل يبدو بعيدًا كلَّ البعد عن أيِّ نشاط مشبوه ... فله اسمٌ محترم في بورصة المال والأعمال ... فهو صاحب شركات عديدة للاستيراد والتصدير ... وصاحب آبار بترول هائلة ... وصاحب عدد لدور الصحف، بالإضافة إلى أكثر من شركة سينمائية ذات أسماء عالمية يعمل فيها نجومٌ كبار. ولكن

بمزيد من التحرِّي الدقيق والصبر استطعنا أن نكشفَ النشاط الحقيقي لذلك الرجل ... وسوف تندهشان بالفعل إذا عرفتما بنشاط هذا الرجل، إنه يتاجر في أكثر من تجارة محرَّمة ... وأغلب هذه التجارة تأخذ طريقَها إلى منطقة الشرق الأوسط وبُؤَر الصراع فيها ... ومن أجل هذا اتخذنا قرارَ التخلص بأسرع وقت وبأية وسيلة.

صمت رقم «صفر» قبل أن يُضيفَ: إن مهمَّتَكما القادمة ... هي التخلُّص من «أوزال أفران»!

ولم يكَد رقم «صفر» ينطق الاسم حتى اتسعَت عينَا «أحمد» و«عثمان» بالدهشة العظيمة؛ فما كان ليتخيلَا لحظة واحدة أن اسم أكبر بليونير في العالم قد يكون متورِّطًا في أنشطة مشبوهة ... وهو الذي تنشر الجرائد والمجلات صِوَرَه باعتباره «رجل الأعمال الكبير» و«المحسن الكبير» و«راعي الفن والأدب الأول» ... وحيث تمتلئ الحفلات التي يُقيمها بكبار النجوم والممثلين والأدباء والرياضيِّين بل ورؤساء الوزراء والملوك!

ملك تنظيف الأموال!

لم يترك رقم «صفر» لـ «عثمان» و«أحمد» فرصةً لمزيد من الدهشة، وأكمل قائلًا: لا بد أنكما قد تعلَّمتما من خلال العمل الطويل في المنظمة بألَّا يُفاجئَكم أيُّ خبر أو نبأ. وللحقِّ فإن حقيقة «أوزال أفران» قد فاجأَت الكثيرين وعلى أعلى المستويات. إن هذا الرجل التركي البليونير الذي يلقِّبونه بالأسطورة ... قد اكتشفنا أنه أسطورة بالفعل، ليس لسببِ شركاتِه العديدة وحفلاته التي لا نهايةَ لها، بل لأننا اكتشفنا أنه ملكُ العمل السري وأغلب التجارات المحرَّمة ... وأنه الزعيم أو الأب الروحي لكثير من رؤساء العصابات وزعماء المافيا ... حيث إن العمليات الكبيرة لا تتم إلا بإذنه ... وإنه بذلك يعيش بشخصيتَين ... أو بوجهَين ... ولا يعرف هذه الحقيقةَ غيرُ عدد من الأفراد ... عددُهم يقلُّ عن أصابع اليد الواحدة.

عثمان: لقد كانوا يُلقِّبون هذا الرجل بـ «البليونير العصامي» ...

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا، وبداية هذا الرجل الأسطورة كانت بدايةً عادية جدًّا ... فهو لا يحمل أية شهادات علمية ... كانت ولادته في مدينة «أنقرة» بتركيا منذ خمسين عامًا ... واشتغل في مِهَنٍ عديدة، منها شيَّالًا بالميناء ... ثم بحَّارًا ... وبهذه الصفة الأخيرة دار حول العالمِ كلِّه، ثم استقر في «نيويورك» ليبدأ مشروعًا صغيرًا برأسمال صغير ... ثم توالَت المشاريع والأرباح بسرعة هائلة ... حتى تحوَّل «أوزال» إلى ما هو عليه الآن.

أحمد: وتجارته المحرَّمة ... متى بدأت؟

رقم «صفر»: لسنا نشكُّ في أنه بدأ مبكرًا ... وأن تلك البداية كانت عملَه كبحَّار، وأنه كان يقوم بتهريب شحنات صغيرة من المخدرات بصفة شخصية لحساب بعض التجار الصغار. ومع الوقت اتسعَت أعمالُه ونشاطه، وساعده بعضُ رجال المافيا في الاستقرار بـ «نيويورك» عاصمة الجريمة، وصار «أوزال» صاحبَ تجارة أيضًا. ولا شك أنه بدأ صغيرًا في تجارة المخدرات ثم اتسع نشاطُه شيئًا فشيئًا وتضاعفَت أرباحُه آلاف المرات ... على حين

كان نشاطه الظاهري في الاستيراد والتصدير والصحافة والسينما، كلُّ هذا كان يُضفي عليه مظهرًا محترمًا ... خاصة وأن كثيرًا من رؤساء العالم وعظمائها من أصدقائه، وهم بالطبع لا يدرون شيئًا عن حقيقته.

أحمد: من العجيب أن يعمل هذا «التركي» الأسطورة وحدَه ويؤمِّن نفسَه بذلك القَدْر، دون أن يدريَ أحدٌ عنه شيئًا!

رقم «صفر»: ومَن قال ذلك؟! ... البعضُ يعرفون حقيقةَ «أوزال»، وهذا البعض يُفترَض فيهم أنهم رجالُ أمنٍ وحماية ... ومن صميمِ عملِهم كشفُ أمثاله ... غير أن هؤلاء البعض يقومون بحماية هذا الرجل وتقديم العون إليه لأقصى حد.

أحمد: هذا مذهل! ... ومَن هم هؤلاء البعض؟

رقم «صفر»: إنهم رؤساء أقوى جهاز مخابرات في العالم ... وقد يبدو ذلك التعاونُ عجيبًا في نظر الكثيرين، غير أننا لو عرفنا أن «أوزال» لا يتاجر في المخدرات فقط، بل وفي الأسلحة أيضًا بأرقام تفوق صادرات بعض الدول الكبرى ... عندئذٍ سيذهب عجبُنا.

عثمان: هل تقصد أن «أوزال» يعمل لحساب جهاز المخابرات لتلك الدول القوية؟

رقم «صفر»: بالضبط ... فهذه الدول أحيانًا ولأسباب سياسية لا تستطيع إمدادَ دولة أخرى أو جيش ما بالسلاح ... ومن ثَم تطلب من «أوزال» أن يفعل ذلك ... وفي المقابل فإنها تتغاضَى عن أنشطته الأخرى.

عثمان: يا لَها من صفقة بشعة!

رقم «صفر»: أما الأكثر بشاعة فهو ما ستعرفانِه حالًا ... إن الجميع يعرفون أن بلادنا العربية مستهدفةٌ أكثرَ من غيرها لحرب المخدرات. وقد ثبت لنا أن جزءًا كبيرًا من المخدرات يأتي عبر قنوات هذا «التركي الأسطورة»؛ حيث يتخذ رجالُه من الوطن العربي مسرحًا كبيرًا لنشاطهم ... ليس هذا فقط، بل أغلب صادرات الأسلحة لهذا الرجل تأتي إلى عالَمنا العربي أيضًا ... وبالتحديد تتجه إلى بُؤَر الصراع فيه ... فمثلًا تتجه الأسلحة إلى «لبنان» أو «جنوب السودان» أو غيرها ...

عثمان: هذا مذهل!

رقم «صفر»: إن بعض الأيادي والدول التي تتظاهر بأنها تريد حلَّ مشكلة «لبنان» المشتعل، هذه الدول هي نفسها التي تُرسل السلاح بواسطة «أوزال» لكل المتحاربين ولكل الجبهات، والميليشيات في «لبنان» لكيلا تهدأ الحربُ فيها وتظل مشتعلة دائمًا فيظل العالَم العربي في حالة صراع وتمزُّق مستمر. وهو نفسُ الشيء الحاصل في جنوب السودان ...

ويقوم «أوزال» بتوريد كافة أنواع السلاح لهذه المناطق المشتعلة ... أما الثمن فهو لا يقبضه نقودًا ... بل مخدرات ... فأنتم تعرفون أن مناطق كبيرة في «لبنان» تُزرَع بالمخدرات حيث تكون هي الثمن لذلك السلاح الذي تحصل عليه الميليشيات ... ومن ثَم فإن تلك المخدرات التي يقبضها «أوزال» ثمنًا لأسلحته، يقوم ببيعها مرة أخرى وتهريبها إلى بقية الوطن العربي ... في خطة مزدوجة للقضاء على شبابه واقتصاده ...

وسادَت لحظاتُ صمتٍ قصيرة بعد حديث رقم «صفر» كأنه يعطي لـ «أحمد» و«عثمان» فرصةً لاستيعاب ما قاله. وكان ما قاله رقم «صفر» خطيرًا بالفعل إلى درجة مذهلة لا تخطر على بالِ إنسان.

هتف «عثمان» في حنَق: هذا الشيطان المجرم ... يجب التخلص منه على الفور.

رقم «صفر»: ليس في الوقت الحاضر ... قد يكون ذلك هو مهمتكما القادمة ... فهذا الرجل يعيش تحت حراسة هائلة في ضَيْعته بـ «نيويورك» أو في ضَيْعته الأخرى في «سويسرا»، ونحن سوف نضع الخطة اللازمة للوصول إلى رأسه ... بلا مخاطرة من جانبنا ... ولكن هناك مهمة أخرى لكما يجب القيام بها الآن ... وفورًا.

أحمد: ونحن مستعدون لها تمامًا.

رقم «صفر»: أنتما تعرفان أن الأمور يسودُها الهدوء حاليًّا في «لبنان». وأن كافة الأطراف المتصارعة تسعَى إلى الحل السلمي بعيدًا عن القتال، وربما يرجع ذلك أساسًا إلى نقصِ السلاح لدى كافة الأطراف بعد العديد من الجولات القتالية التي استنفدَت فيها كلُّ الميليشيات ذخيرتَها ... وهذا هو ما نتمنَّاه جميعًا ... أن يسودَ السلام في «لبنان»، ويتصالح كلُّ الأطراف، غيرَ أن بعض القوى العالمية ليس لها نفسُ الهدف ... ومن ثَم فقد دفعَت بعميلها أو بمخلب القط «أوزال» إلى العمل.

عثمان: إذن فهناك شحنة أسلحة جديدة ... في طريقها إلى «لبنان».

رقم «صفر»: بالضبط. وهذه الشحنة يُشرف عليها «أوزال»؛ فهناك سفينة كبيرة رابضة بميناء «نيويورك» يجري شحنُها في سرية تامة بكل أنواع الصواريخ والمدافع والقنابل، ومنها أنواع متطورة جدًّا كفيلة بإشعال الصراع ليس في «لبنان» فقط، بل في الشرق الأوسط بأكمله، وسوف ينتهي شحنُ هذه السفينة غدًا مساءً دون أن تدريَ السلطات الأمريكية عنها شيئًا؛ لأن قوانينها تمنع شحنَ السلاح إلى أماكن الصراع الملتهبة. ولكن بالطبع هناك مَن يتحايلون على القانون، «أوزال» هو خيرُ مَن يفعل ذلك؛ ولهذا فإنه يجب منعُ وصولِ هذه السفينة الضخمة إلى «لبنان» بأي ثمن.

أحمد: سنفعل ذلك بكلِّ تأكيد ولو اضطررنا إلى نسْفِها في الميناء.

رقم «صفر»: إنني أثقُ في قدرتكما. لقد اخترتُكما وحدَكما لهذه المهمة؛ لأن الخطة التي وضعتُها تتطلَّب منكما العملَ كبحَّارَين على السفينة ومرافقتها في رحلتها إلى بيروت ... وخلال هذه الرحلة عليكما بمنع وصول هذه السفينة إلى المنطقة العربية بأيِّ ثمن، حتى ولو لزم الأمر بنسفها كما قال «أحمد».

عثمان: هل هناك خطة تسهِّل لنا الالتحاق بهذه السفينة للعمل بها كبحَّارة؟

– لا ... إنني أترك ذلك لكما ... وأنا واثقٌ من كفاءتكما ... إن هناك مقعدَين محجوزَين لكما في الطائرة المتجهة إلى «نيويورك» بعد ساعة ... وفقكما الله.

نهض رقم «صفر» من مكانه وسَمِع الشيطانان أصواتَ أقدامه وهي تُغادر المكان. وتلاقَت عينَا «أحمد» و«عثمان»، وقد لمع بريقُ التصميم والتأهب للمهمة القادمة التي طال انتظارُها.

النجم المشتعل!

كان ميناء «نيويورك» مليئًا بالحركة ... فهو ليس أكبرَ موانئ أمريكا الشمالية فقط، بل يُعدُّ من أكبر موانئ العالم برصيفه الذي يمتدُّ إلى ما يزيد عن ١٢٠٠كم، وحيث يَعبُر من خلاله ما يقرب من نصف تجارة أمريكا وراء البحار.

كانت هناك مئات السفن المتراصة في الميناء الكبير، وقد راحَت بعضُها تُفرِغ حمولتَها التي جلبَتها من الموانئ الأخرى عبر المحيط، على حين راح بعضُها الآخر يمتلئ جوفُه بكل أنواع البضائع والصادرات ... والرافعات العملاقة والأوناش الضخمة تتحرَّك فوق رصيف الميناء كأنها هياكل عملاقة من المعدن.

ولم تكن حال سفينة «النجم المشتعل» لتختلفَ عن غيرها من مئات السفن حولها ... كانت السفينة كبيرة يزيد طولُها عن مائة وعشرين مترًا ... وكانت تبدو رشيقةً بيضاء كأنها بجعةٌ راقدة فوق وجه الماء ... وقد راح عشرات العمال يقومون بشحنها بصناديق كبيرة وحاويات ضخمة، بواسطة أوناش عملاقة ... وقد تكدَّس سطحُ وجوفُ السفينةِ بآلاف الصناديق المغلقة.

وكانت العبارات المكتوبة فوق الصناديق المغلقة تقول بأنها تحوي أدوات منزلية وأجهزة كهربائية قابلة للكسر. وتحذِّر من التعامل معها بشدة ... غير أن الذي يعرفه الكثيرون، هو أن الموت والدمار يختفيان في قلب كلِّ صندوق من صناديقها ...

كانت «النجم المشتعل» هي السفينة المقصودة ... المحمَّلة بالذخيرة والسلاح والقنابل، لتنقلَ الموتَ والخراب إلى شعبٍ مسالِم أنهكه طولُ القتال الذي لا هدفَ له.

ووقف «عثمان» و«أحمد» على مسافةٍ يُتابعان مشهدَ شحن السفينة بحمولتها، وقد بدَت هيئتُهما مثلَ بحَّارَين عاطلَين عن العمل بملابس زرقاء من الجينز وكاسكيت قديم، وقد بدآ يتحرَّكان بطريقة خاصة كعادة البحارة المتمرِّسين.

ظهر ربَّان السفينة وهو يُشرف على شحنها، وكانت له هيئة ضخمة ولحية كبيرة ووجه أحمر. وأخذ ربَّان السفينة يُعطي تعليماتِه لبحَّارته الذين كان عددُهم لا يزيد عن الثلاثين وهو أمرٌ عجيب بالنسبة لسفينة ضخمة. ولكن دواعي الحذر والسرية كانت تقتضي تقليلَ عدد البحارة إلى أقصى حدٍّ.

تساءل «أحمد»: هل تظن أن بحَّارة «النجم المشتعل» يعرفون ما تحتويه سفينتُهم؟

عثمان: هذا لا شك فيه.

ألقى «أحمد» نظرةً إلى ساعته، وقال: باقي ثلاث ساعات على بَدْء الرحلة لهذه السفينة الجهنمية.

عثمان: لقد انتهى شحنُ السفينة ... وأظن أن الساعات المتبقية بمثابةِ ساعاتِ لهوٍ لبحَّارتها، فهذه هي عادة البحارة في هذا الميناء.

كان «عثمان» على حقٍّ؛ فما كاد ينتهي شحنُ آخرِ صندوق حتى لوَّح الربان بيدَيه لبحَّارته، طالبًا منهم أن يحصلوا على قليل من الراحة قبل رحلتهم الطويلة.

تدافع البحَّارة مسرعين إلى رصيف الميناء ... ثم تفرَّقوا وكلٌّ منهم يبحث عن وسيلةٍ لقضاءِ فترةِ الراحة الخاصة ... وغمزَ «عثمان» بعينَيه لـ «أحمد» قائلًا: هيَّا بنا؛ فقد حان أوان العمل ...

تساءل «أحمد»: هل اخترتَ أحدًا معينًا؟

أشار «عثمان» إلى أربعة من بحارة النجم المشتعل، كانت تبدو عليهم الشراسةُ وسوءُ الطبع، بالإضافة إلى ضخامتهم غير العادية. قال «عثمان»: هذا هو صيدنا. إنهم يتجهون إلى حانة «القط الأزرق» ليأخذوا كأسًا أخيرًا.

وأكمل بلهجة خاصة: أظن أنه سيكون الأخير لهم بالفعل.

وكانت الحانةُ التي دخلها البحارة عفنةَ الرائحة، امتلأَت بدخان السجائر وروائح المشروبات الرخيصة المقزِّزة، وقد راح الجالسون فيها من البحارة يضحكون بأصوات مرتفعة ويتبادلون الشتائم وهم يحتسون مشروباتهم.

دخل «عثمان» و«أحمد» الحانةَ خلف البحارة الأربعة، وكان عليهم أن يتقمَّصوا دورَهم إلى أقصى حدٍّ؛ فقد كان نجاحُهم في الالتحاق بـ «النجم المشتعل» للعمل كبحارة يتوقَّف على ما سيقومون به خلال اللحظات القادمة.

احتل «أحمد» و«عثمان» مقعدَين مجاورَين لمنضدة البحارة الأربعة، الذين راحوا يحتسون الخمر بأصوات مقززة ويتبادلون الحديث والنِّكات والشتائم بأصوات عالية،

وغمز «أحمد» لـ «عثمان» بعينَيه، فالتفت «عثمان» إلى أقرب البحارة الأربعة إليه، وكان أضخمَهم وأكثرَهم شراسة، فقال له: ما هذه الألفاظ والأصوات العالية؟

التفت البحَّار الضخم ذاهلًا إلى «عثمان»، وقال له: هل تحدِّثني أنا؟

عثمان: ليس هناك مَن يتحدَّث بطريقة أخسَّ منك في هذا المكان لأُحدِّثَه. إن لك رائحةً لا تُطاق تجعلني لا أستمتع بهذا المكان ... وقد يكون علاجُك في هذا.

وأمسك «عثمان» بكوب الخمر الممتلئ أمام البحَّار، ثم سكبه فوق الأرض، عندئذٍ غضب البحَّار ولمَعَت عيناه ببريقٍ وحشيٍّ جهنميٍّ ...

وساد السكونُ بداخل الحانة. وماتَت الضحكات والكلمات ... وقد راح كلُّ الجالسين ينظرون، وبالفعل فقد فتح الجحيم أبوابه في اللحظة التالية.

رقصة النمر!

زأر البحَّار في صوتٍ متوحش كأنه حيوان سجين، ثم اندفع نحو «عثمان» وقد صوَّب إليه ضربةً هائلة لو أصابَت حائطًا من الصخر لحطَّمَته.

كان الشيطان الأسمر يتوقَّع تلك الضربة، ويعرف الكثيرَ عن أساليب البحَّارة في القتال؛ ولذلك وبكل بساطة فقد قفز إلى الوراء في رشاقة وهو يحني رأسَه جهة اليسار مثل راقصي الباليه، فطاشَت الضربة واختلَّ توازنُ البحار ... وبنفس الخفة والرشاقة امتدَّت يدُ «عثمان» لتردَّ الضربة التي أصابَته وجعلَت عينَيه تجحظ من الألم الشديد، ومرة أخرى كان ردُّ الفعل قاسيًا ... غبيًّا ... فقد طارَت قبضتُه اليسرى نحو «عثمان» ومرة أخرى قفز الشيطان الأسمر إلى الخلف متجنِّبًا مسارَ القبضة الهائلة فطاشَت أيضًا ... ووثَب «عثمان» مثل فهد فصار خلف البحَّار، وقام بضربِه ضربةً خفيفة. وزأر البحَّار مرة أخرى في جنون، وتمالَكَ كلَّ قوتِه ليجذبَ «عثمان» من ذراعه، ثم هوَى برأسه فوق رأس «عثمان» في ضربة ارتجَّ لها المكان ...

وشعر «عثمان» كأن قنبلةً انفجرَت في رأسه، وقبل أن يصوِّبَ له البحَّارُ ضربةً أخرى، كان «عثمان» قد تأهَّب تمامًا لتقديم رقصة النمر ...

وهكذا راحَت أصابعُ «عثمان» وقدماه تتحركان بطريقة عجيبة واستعراض شيِّق للعبة «الكونغ فو» في استعراض رقصة النمر ... فبدَا الشيطان الأسمر، وكأنه نمرٌ بشريٌّ لا مثيلَ له.

فُوجئَ البحَّارُ الثائر بحركاتِ «عثمان» الغريبة، ثم اندفع البحار نحو «عثمان» ثم وجَّه له ضربةً قوية ... وكان ذلك خطأَه الأخير ... فقد تحاشَى «عثمان» الضربةَ في نفس الوقت، وطارَت قدمُه برشاقة لا مثيلَ لها. وقام بضرب البحَّار بها وكأنها قذيفة، وكانت شديدةً بحيث ألقَت بالبحار إلى الوراء، فسقط فوق مائدة حطَّمها تمامًا.

وجُنَّ جنونُ البحارة الثلاثة لما حدث لزميلهم، فاندفعوا نحو «عثمان» في غضب شديد شاهرين أسلحتَهم.

ولكن أوقفهم صوتُ «أحمد» وهو يقول: مهلًا أيها الرجال؛ فلا يصح أن تتقاتلوا جميعًا مع شخص واحد …

صاح أحد البحارة الثلاثة: حسنًا … فلتكونَا اثنين فيزيد عددُ القتلى هذا اليوم … وهوَى البحَّار بضربةٍ فوق «أحمد» … ولكن وقبل أن تُلامسَه الضربة كانت قدمُ «أحمد» قد طارَت إلى البحار فجعلَته يشهق من الألم، وقبل أن يفكِّر حتى في الردِّ على الضربة طارَت القدمُ الأخرى للشيطان الوسيم فألقَت بالبحَّار فوق المائدة الأخرى حطَّمها وتمدَّد بجوار زميلِه الفاقد الوعي … واندفع البحَّاران الباقيان نحو الشيطانَين شاهرَين أسلحتَهما.

ومع اندفاع البحَّارَين … اندفع بقيةُ روادِ الحانة من البحَّارة ليشاركوا في المعركة ضد «أحمد» و«عثمان».

وتحوَّل المكان إلى ساحة قتال هائلة … وأكثر من عشرين بحَّارًا يقاتلون ضد شخصَين أعزلين من السلاح.

ولكن مَن قال إن الشيطانَين بحاجة إلى سلاح ليُدافعَا عن نفسهما خاصةً إذا كانَا من طراز «أحمد» و«عثمان»؟!

وهكذا كان أول الضحايا ثلاثة بحَّارة استقرَّت رءوسُهم بين حطام الأخشاب، عندما اندفعوا نحو «أحمد» شاهرين أسلحتَهم، فاستقبلهم «أحمد» بمنضدة خشبية كبيرة حطَّمها فوق رءوسهم … أما «عثمان» فطار في الهواء مسدِّدًا ضربتَين كأنه «الرجل الوطواط»، فطار البحَّاران … واصطدمَت رأساهما بزجاجات المشروبات وحطَّمَتها في فوضى شديدة وطارَت الزجاجات والمقاعد.

ولم تستغرق المعركة غيرَ دقائق ثم توقَّفَت … ليس لأن الشيطانَين قد أُصيبَا في المعركة أو هربَا من المكان … بل لأنهما لم يجدَا مزيدًا من الرجال لقتالهم … فقد كانت نتيجة الجحيم الذي اشتعل في الحانة هو سقوطُ بحَّارتها جميعًا فاقدي الوعي …

تلفَّتَ «عثمان» حوله وهو يقول ساخرًا: أليس هناك مزيدٌ من الأغبياء للقتال؟

وفي تلك اللحظة اصطدمَت عيناه بربَّان «النجم المشتعل» الذي كان واقفًا في مدخل الحانة وهو يُلقي بنظرة غير مصدقة إلى البحَّارة المصابين.

وكان من الواضح أن المعركة التي دارَت في الحانة قد جذبَت انتباه الربَّان، وعشرات من البحارة الذين تدافعوا أمام باب الحانة حاملينَ كلَّ ما وصلَت إليه أيديهم من سلاح

للانتقام من «أحمد» و«عثمان». ولكن إشارة الربان أوقفَتهم في أماكنهم، وتقدَّم الربان من «أحمد» و«عثمان» وهو يتأملهما بدهشة عظيمة، ثم قال: مَن أنتما؟

أجابه «أحمد» في خشونةٍ: ألَا تعرفنا؟!

الربان: إنكما تبدوان لو كنتما من البحارة، غير أنه لا أحدَ يعرفكما هنا أو يشاهدكما في هذا الميناء من قبل.

عثمان: وكيف يرانا أحد وقد كنَّا في مكان خاص لمدة عامين ... فهم لا يفرجون عن السجناء في هذه البلاد ليذهبوا إلى الحانات.

الربان: إذن فقد كنتما سجينَين ... ولكن لماذا؟

قال «عثمان» ساخرًا: لأننا لم نعرف كيف نسوِّي أمورنا جيدًا مع رجال الشرطة في هذه البلاد، فقبضوا علينا بتهمةِ جلبِ المخدرات. إنَّ كلَّ ما كنَّا نحمله هو نصف كيلو من الهيروين فقط لا يساوي البقاءَ خلف القضبان يومًا واحدًا.

الربان: إذن فقد كنتما تعملان في تهريب الهيروين.

أحمد: إن الربان الذي كنَّا نعمل فوق سفينته كان رجلًا غبيًّا لا يدفع بسخاء؛ لهذا رأينا زيادة دخلنا بجلبِ بعض المخدرات إلى هذه البلاد. ومن المؤسف أنهم أمسكوا بنا قبل تصريفِها.

قال الربان في شك: ولكنها المرة الأولى التي أرى فيها بعضَ البحَّارة يقاتلون بالمهارة التي قاتلتما بها.

عثمان: إننا لم نقضِ وقتَنا في السجن عبثًا ... فقد كان يُزاملنا هناك رجلٌ صيني كان بطلًا للعالم في «الكونغ فو» قبل أن تبعث به المخدرات أيضًا إلى السجن، ولحسنِ حظِّنا فقد تعلَّمنا منه أشياء كثيرة أفادَتنا مع هؤلاء الأغبياء.

مرَّت لحظةٌ صمت، وبدَا على الربان الاقتناع، ونظر في ساعته. كان الوقت يجري بسرعة ولم يَعُد باقيًا غير دقائق قليلة على ميعاد رحيل سفينته «النجم المشتعل»، وأشار الربان إلى بعض بحَّارته قائلًا: أيقظوا زملاءَكم واحملوهم خارجًا.

ولكنها كانت مهمةً فاشلة؛ فإن البحارة الأربعة كان مستحيلًا عليهم الإفاقةُ من الغيبوبة التي سبَّبَتها لهم ضرباتُ الشياطين.

قال أحدُ البحارة الآخرين للربان: إنهم فاقدو الوعي. وقد لا يُفيقون قبل أسبوع.

قال الربان في قلق: وما العمل الآن؟! ... لا يمكنني الإبحار بستة وعشرين بحارًا فقط.

تدافع بعضُ البحارة العاطلين نحو الربان عارضين عليه الإبحارَ معه بدلًا من البحارة الأربعة المصابين، ولكنَّ عينَي الربَّان توقَّفَت نحو «أحمد»، و«عثمان»، وارتسمَت ابتسامةٌ واسعة على شفتَيه وهو يقول: أعتقد أنني قد عثرتُ على ما أريد ... هل تُبحرانِ معي؟

تساءل «أحمد»: ما هي وجهتُكَ؟

أجاب الربان: أنا لا أحبُّ الأسئلة الكثيرة ... سأدفع لكلٍّ منكما عشرة آلاف دولار في رحلة لن تستغرقَ أكثرَ من أسبوعين، فما رأيكما؟

ردَّ «عثمان» قائلًا: حسنًا ... إن هذا أفضلُ من البقاء بلا عمل.

وألقى نظرةً باسمة إلى «أحمد» ... فقد تحقَّق هدفهما ... وها هما قد صارَا من بحارة «النجم المشتعل».

معركة فوق المحيط!

أطلقَت سفينةُ «النجم المشتعل» صفارتَها الأخيرة، قبل أن ترفعَ مراسيَها وتتَّجهَ مُغادِرةً ميناءَ «نيويورك» بلا تأخير.

كان عملُ «أحمد» في صيانة الآلات، وكانت لهما دراية واسعة بميكانيكا الآلات ... والمحركات البحرية سهَّلَت لهما القيام بواجباتهما بشكل جيد ...

وفي المساء تجمَّع البحَّارة على مائدة العشاء. ولاحظَ «أحمد» و«عثمان» نظراتِ بقيةِ البحَّارة العدائية لهما.

وبلغةِ الأصابع راح «أحمد» ينقل رسالةً إلى «عثمان» يقول فيها: «هل لاحظتَ نظراتِ البحَّارة إلينا؟»

أجابه «عثمان» بنفس اللغة: «إن نظراتِهم العدائية واضحةٌ تمامًا، ومن المؤكَّد أنهم لن يتسامحوا معنا بسبب إيذاءِ زملائهم الأربعة وأَخْذِنا مكانهم.»

أحمد: هل تظن أنهم سوف يقومون بأي عمل عدواني ضدَّنا؟

عثمان: مَن يدري؟ ... علينا أن نكون في منتهى الحرص.

انتهى العشاء، وانصرف «أحمد» و«عثمان» إلى عملهما بغرفة الآلات ...

وفي ركن الباخرة كان يجري مشهدٌ آخر ... فقد تجمَّع عددٌ من البحَّارة راحوا يتهامسون فيما بينهم ثم انتهَوا إلى قرار، فتقرَّقوا عائدين إلى أعمالهم.

وفي منتصف الليل انتهَت نوبةُ عمل «أحمد» و«عثمان» ... وخرجَا من حجرة الآلات وهما يضحكان متجهَين إلى قمرتهما القريبة من سطح الباخرة.

صاح «أحمد»: حاذِر يا «عثمان».

وفي نفس اللحظة قفز الشيطان الأسمر إلى الوراء مدفوعًا بغريزة الخطر ... ودوَّى صوتٌ هائل عندما سقطَت حاويةٌ هائلةُ الحجم مكان «عثمان» ... ولولا أنه قفز من مكانه لسحقَته الحاويةُ الضخمة ...

تساءل «عثمان» وهو يجفِّف عرقه: تُرى مَن الذي حرَّك هذه الحاوية من مكانها وأسقطها علينا؟

ولم يكن السؤال بحاجة إلى إجابة؛ فقد ظهر خمسةٌ من بحارة السفينة وقد تسلَّحوا وهم يحاصرون «أحمد» و«عثمان».

تحدَّث أحد البحَّارة قائلًا: من العجيب أنكما تهربان من الموت بطرق غريبة.

قال «عثمان» ساخرًا: هذا لأن أواننا لم يَحِنْ بعدُ.

قال البحار: حسنًا ... لقد حان الأوان الآن.

واندفع البحارة الخمسة نحو «أحمد» و«عثمان» ... وكان من السهل على الشيطانَين أن يواجهَا جيشًا من عينةِ هؤلاء البحارة وأن يُلقوا بهم من فوق حاجز السفينة إلى المحيط في أقل من دقائق معدودة ...

لكن «أحمد» و«عثمان» اتبعَا خطةً أخرى ... وهكذا تحاشيَا الضرباتِ القاتلةَ الموجَّهة لهما من البحارة، ثم شرعَا في تقديم استعراض لا مثيلَ له.

هكذا راح الاثنان يستعرضان حركاتِ الكاراتيه «والكونغ فو» الاستعراضية، فتراجع البحارة إلى الوراء في قلق.

وتماسك الشيطانان ... وبحركة خاطفة طارَا في الهواء ... وقبل أن ينتبهَ البحارة إلى هدفهما، كانت أقدامُ الشيطانَين قد أخذَت طريقَهما إلى اثنين من البحارة، فدارَا حول نفسهما من شدة الضربات ... ثم سقطَا على الأرض بلا حَراك ...

وزأر البحارة الثلاثة الباقون واندفعوا نحو «أحمد» و«عثمان»، وتلقَّى «أحمد» ضربةً من مهاجِمه فوق ذراعه، ثم أطاح بالبحار فسقط في قلب الماء ... واستدار «أحمد» ليُمسك بالبحار ويرفعه فوق قدمه بحركة «جودو»، فطار البحَّار في الهواء واصطدم بحاجز السفينة فسقط بجواره بلا حَراك ... في نفس اللحظة التي كان فيها مهاجم «عثمان» يندفع إلى الوراء كأنما صدمَته قاطرةٌ واستقرَّ فوق إحدى الحاويات الضخمة. وقبل أن يتمكَّن البحار الخامس من طلب النجدة، أو حتى الهرب، كانت أيدي «عثمان» و«أحمد» تمتدُّ إليه، وبضربتَي سيف شهق البحَّار من الألم ... وسقط على الأرض وراح يزحف وهو يئنُّ ... ثم توقَّف عن الزحف عندما سدَّت عليه الأقدام الكثيرة الطريق ... كان بقيةُ البحَّارة

قد تجمَّعوا على سطح الباخرة بسبب صوت المعركة، وصاح البحار الزاحف بصوت متألم أشد الألم لزملائه: لقد هاجمونا وأصابونا. إنهم يبدون كالشياطين ... ولا يمكن لإنسانٍ قهرهم.

صاح أحد البحارة: سوف تكون نهايتهم على أيدينا ... وأشار إلى زملائه ... ولكن قبل أن يتحرك أحدهم ارتفع صوت ربان السفينة في غضب شديد قائلًا: ما الذي يجري هنا؟

تقدَّم «عثمان» من الربان قائلًا: لقد هاجمونا هؤلاء البحارة الخمسة، وأرادوا قتْلَنا فأسقطوا إحدى الحاويات علينا، ثم بادرونا بالهجوم.

أحمد: وبالطبع كان علينا أن نُدافع عن أنفسنا.

ارتسم الغضبُ على وجه الربَّان وهتف: هل نحن في ساحة قتال؟! ... إذا حاول أحد هؤلاء الرجال الاعتداء عليكما مرة أخرى، فأقسم أن أُلقيَه في عرض المحيط.

على الفور بدأ البحَّارة ينسحبون في صمتٍ حتى خلا سطحُ السفينة منهم، وحتى البحارة المصابون أسرعوا يغادرون المكان.

تقدَّم الربان من «أحمد» و«عثمان»، وتأمَّلهما بنظرة طويلة، ثم قال: لم يحدث من قبل أن تعرَّض إنسانٌ لهجوم هؤلاء الوحوش وعاش طويلًا.

عثمان: لقد تعوَّدنا على هجوم الوحوش ونعرف كيف ننتزع مخالبها.

الربان: لقد أُعجبت بكما ... وربما بعد أن نَصِل إلى وِجْهتنا ونُفرغ الشحنة يكون هناك تعاونٌ كبير بيننا.

أحمد: المهم أن تدفع جيدًا ... كثيرًا من المال ...

ابتسم الربان قائلًا: اطمئن ... ستحصلان على مال كثير ... أكثر مما تحلمان به ... فإن الرجل الذي ستعملان لديه لا قيمة للمال عنده أبدًا ... إنه دائمًا بحاجة إلى رجال لهم مثل مهارتكما ... هذا بالإضافة إلى الإخلاص.

عثمان: إننا دائمًا نُخلص لمن يدفع أكثر ...

الربان: حسنًا ... سنرى فيما بعد ... والآن هيَّا اذهبَا إلى قمرتكما؛ فأنتما تحتاجان إلى الراحة بعد تلك المعركة التي خضتماها اليوم.

سار «أحمد» و«عثمان» باتجاه قمرتهما ... ووقف الربان نحو حاجز السفينة وهو يتطلع إلى الأفق البعيد المظلم، واقترب مساعدُه منه وهو يقول: إن شيئًا ما يجعلني لا أرتاح إلى هذين البحَّارَين اللذَين التقطناهما من ذلك الحان.

الربان: وما الذي يجعلك لا ترتاح إليهما يا «جاك»؟

المساعد: أشياء كثيرة ... مهارتهما غير العادية في القتال؛ فلا يمكن أن يكون لبحَّارة عاديِّين مثل هذه القدرة الهائلة ... إنهما يقاتلان مثل النمور أو الشياطين، بالإضافة إلى قصتهما عن سجنهما لا تروقني.

الربان: ماذا تعني؟

المساعد: كان من الواجب أن نتحرَّى عنهما أولًا قبل أن نسمح لهما بالعمل على السفينة ... إن عملنا لا يحتمل أقلَّ هفوة.

– ولكنك تعرف أن الوقت لم يكن يسمح لنا بالتحرِّي عنهما.

– ولكن لا يزال أمامنا متسعٌ من الوقت.

– ماذا تقصد؟

ضاقَت عينَا «جاك» مساعد الربان، فبدَا وجهُه مثلَ قرد طويل نحيل، وقال: يمكننا أن نبرق إلى رجالنا في «نيويورك» بأسماء وأوصاف هذين الرجلَين ونطلب منهم التحرِّي عنهما ... وسوف يَصِلنا الردُّ خلال ٢٤ ساعة.

لم ينطق الربان في الحال وبدأ التفكير العميق، ثم قال بصوت مبحوح: وما العمل إذا كان هذان الاثنان كاذبَين؟

– ليس هناك غيرُ تصرُّفٍ واحد يا سيدي ... قتلهما في الحال.

لمعَت عينَا الربَّان ببريق وحشي وهو يقول: سيكون القتل شيئًا هينًا لما أنوي أن أفعلَه بهما والآن اذهب لتبرق إلى رجالنا في «نيويورك».

اتجه «جاك» نحو حجرة اللاسلكي ... وبقيَ الربان وحده فوق سطح السفينة وقد التمعَت عيناه بلون دموي قاتل.

شكوك ... واحتمالات!

شكوك ... واحتمالات.

أطفأ «أحمد» و«عثمان» ضوءَ القمرة، وتظاهرَا بالنوم ... وبعد نصف ساعة كاملة غادر الاثنان فراشَهما ووقفَا بجوار باب القمرة يستمعان ... ولكن لم يكن هناك أيُّ صوت.

قال «عثمان»: فلنُسرع لاستكشافِ كلِّ أجزاء السفينة قبل الفجر.

أحمد: من الخطر الخروج من القمرة؛ فقد تكون مراقبة من بعض البحَّارة.

تساءل «عثمان» في قلق: هل تظن أنهم يشكُّون فينا؟

أحمد: مَن يدري؟ ... إن عداء البحَّارة لنا قد يجعلهم يحاولون أيَّ شيء معنا للتخلُّص منا، وحتى الربان ومساعده فإنني لا أطمئن إليهما.

عثمان: وما العمل الآن؟

أحمد: سنخرج من القمرة، ولكن ليس من بابها، بل من نافذتها الصغيرة المطلَّة على الماء.

عثمان: ولكن هذا خطرٌ جدًّا.

قال «أحمد» بابتسامة واسعة: إن مواجهة الخطر وتحدِّيه هو عملنا الذي نُجيده، هيَّا بنا!

وأمسك «أحمد» بحبل صغير ينتهي بخطاف، وأخرج يده من القمرة، وألقى بالخطاف لأعلى حاجز السفينة فاشتبك به. وتعلَّق «أحمد» بالحبل ثم بدأ الصعود إلى أعلى في خفة الفهد، ومن الخلف بدأ «عثمان» أيضًا صعودَه ... وبعد ثوانٍ قليلة استقر الاثنان فوق سطح السفينة المظلم بدون أن يشعر بهما إنسان ...

همس «أحمد» لـ «عثمان»: علينا أن نكتشفَ أماكنَ وجودِ الأسلحة والقنابل والذخيرة وتوزيعها في كل أنحاء السفينة لنتخذ الخطة المناسبة للتخلص منها.

أومأ «عثمان» برأسه موافقًا ... وأشار «أحمد» إليه أن يكون حذرًا، فهزَّ «عثمان» رأسَه بنعم، ثم تحرَّك نحو قلب السفينة فاختفى في ظلامها ...

اقترب «أحمد» من الحاويات الكبيرة فوق سطح السفينة، وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا وضعَه فوق إحدى الحاويات، فالتمعَت لمبةٌ صفراء في مقدمة الجهاز الذي أطلق طنينًا خافتًا ... وكان معنى ذلك وجود مدافع رشاشة بداخل الحاوية ... وتحرَّك «أحمد» إلى بقية الحاويات على السطح ... كانت كلها تحتوي على مدافع رشاشة ومدافع صغيرة وذخيرة هائلة من الرصاص.

أنهى «أحمد» مهمتَه، وتحرَّك باتجاه قلب السفينة عندما أوقفه صوتٌ جاء من خلفه يقول: ما الذي تفعله هنا أيها الرجل؟

توقَّف «أحمد» مندهشًا ... كانت المفاجأة تامة له، ولا يعرف كيف اقترب منه صاحب الصوت بذلك القدر دون أن يسمعه ...

واستدار «أحمد» فشاهد «جاك» مساعدَ الربان واقفًا وقد علَت وجهَه تقطيبةٌ غاضبة مليئة بالشك، وتخلَّص «أحمد» من دهشته، وقال في بساطة: كنت أتجوَّل على سطح السفينة؛ فقد جافاني النوم.

جاك: من العجيب أنك اخترتَ لتجوالك وقتًا مدهشًا ... الثالثة فجرًا.

أحمد: وهل هناك قانون يمنع البحَّارة من التجول فوق سطح السفن التي يعملون فيها حتى لو كان الوقت فجرًا؟

لم ينطق «جاك» ورفع «أحمد» يدَه بالتحية باسمًا وهو يقول: للأسف لن أتمكن من البقاء طويلًا معك؛ فقد أتاني النوم أخيرًا ... تُصبح على خير.

تحرَّك «أحمد» إلى قمرته ... وأدار بابها فانفتحَت ... وكان «عثمان» بالداخل مشغولًا بتدوين بعض الأرقام والأشياء أمامه. والتفت إلى «أحمد» قائلًا: إن قاع السفينة مليء بصناديق صغيرة ومتوسطة كلها ممتلئة بمختلف أنواع القنابل ... يدوية وفوسفورية وزمنية ودانات المدافع ... اقتراب عود كبريت واحد منها كفيلٌ بنسف السفينة كلها.

انتبه «عثمان» إلى صمت «أحمد»، فسأله مندهشًا: ماذا حدث؟

أخبره «أحمد» بما جرى على السطح، فتساءل «عثمان» في دهشة: هل تظن أن هذا الرجل يشك فينا؟

أحمد: إن لهجته وظهوره المفاجئ يدلَّان على أنه بالفعل يشك فينا.

عثمان: وما العمل الآن؟ ... هل نقوم بنسف السفينة فورًا؟ ...

أحمد: مستحيل طبعًا ... وإلا فإننا سنموت بداخلها. إن الحل الأمثل بالنسبة إلينا هو إغراق السفينة بحمولتها. ولكننا لن نتمكن من ذلك قبل أن تقترب السفينة من بعض الجزر المأهولة بالسكان التي يمتلئ بها المحيط، فيمكننا أن نسبح إليها بعد غرق السفينة فنضمن نجاتَنا.

قال «عثمان» في قلق: ولكن إذا كان هذا الرجل يشك فينا فليس مستبعدًا أن يُرسل للتحرِّي عنَّا في «نيويورك» ... وقتَها سيعرف أننا قد اختلقنا قصة كاذبة على الجميع ... وهذا معناه أن الربان سوف يأمر رجاله بالقبض علينا وربما قتلنا. وإذا افترضنا أن الربان أو مساعده قد أرسلَا هذه البرقية مساء اليوم فلا أظن أنهما سيتلقيان ردًّا قبل مساء الغد. وبذلك لا يكون أمامنا فرصة غير هذا الوقت الضيق لإغراق السفينة.

أحمد: ولكن هذا مستحيل؛ فليست هناك أيُّ جزيرة قريبة نلتجئ إليها.

عثمان: إن لديَّ فكرة أفضل، وهي ألَّا ننتظرَ وصولَنا إلى أية جزيرة، بل أن نقوم بالاستيلاء على أحد زوارق الإنقاذ ونتجه إلى أية جزيرة بعيدة، حتى نعودَ به إلى ميناء «نيويورك»، ولكن طبعًا بعد أن نكون قد نسفنا هذه السفينة الملعونة.

أحمد: من الخطر محاولة تنفيذ هذه الخطة الآن؛ فقد تكون قمرتُنا مراقَبة من بعض البحارة. ومن الأفضل لنا الانتظار حتى الصباح.

تثاءَب «عثمان» وهو يقول: عندك حقٌّ، فأنا أشعر بالنعاس ... إننا بحاجة إلى بعض الراحة حتى نكونَ على أتم استعداد غدًا لمواجهة أيِّ احتمال.

وتمدَّد «عثمان» فوق فراشه على حين بقيَ «أحمد» جالسًا في صمتٍ وقد غَرِق في تفكير عميق ... والتفتَ «عثمان» مندهشًا إلى «أحمد» وهو يسأله: ألن تنام؟

أحمد: إن هناك سؤالًا يدور في ذهني ويهمُّني أن أسمع إجابتَك عليه.

عثمان: وما هذا السؤال؟

أحمد: لنفترض إننا لم نتمكن من الحصول على قارب الإنقاذ ومغادرة السفينة بواسطته قبل نسفِها، ولنفترض أن الوقت لم يتسع لنا للوصول إلى جزيرة قريبة وانكشف أمرُنا قبلها ... فماذا سنفعل؟

تقلَّصَت أصابع «عثمان» فوق رأسه وهو يقول: لن يكون أمامنا غير تصرُّف واحد وهو أن ننسف هذه السفينة بكل حمولتها ومَن فيها ... حتى لو كنَّا في قلبها ... وإلا فسنكون قد شاركنا في جريمة قتل آلاف الأبرياء في «لبنان».

اكتسى وجه «أحمد» بصلابة وهو يقول: هذا ما كنت أريد أن أسمعه منك؛ فإنني لن أسمح بوصول حمولة هذه السفينة إلى هدفها النهائي بأيِّ شكل من الأشكال، ولو كان الثمن هو حياتنا.

في المصيدة!

هتف القبطان مستنكرًا: ماذا تقول؟

أجاب «جاك»: لقد شاهدتُه بنفسي يتجول فوق سطح السفينة، ويبدو أنه كان يتجسَّس على حمولتها، لقد كانت شكوكي في محلِّها.

طار النوم من عينَي الربان وهو يقول: ماذا يريد هذان التعيسان؟

جاك: ليس من شكٍّ أنهما يريدان نسْفَ السفينة بحمولتها ... ولعلهما تابعان لأحد أجهزة المخابرات العربية التي خطَّطَت لهما بمهارة لينضمَّا إلى بحَّارتنا ...

عضَّ الربان على شفتَيه في ندمٍ قاتل وهو يقول: لو كان هذا صحيحًا فستكون كارثة!

جاك: إن الأمر لا يزال في أيدينا ... فإنهما لن يُغامرَا بنسْفِ هذه السفينة وهما فوق سطحها ... بل إنهما سيحاولان الهربَ أولًا والنجاة بواسطة زوارق الإنقاذ؛ ولذلك فقد أمرتُ البحارة بحراسة هذه الزوارق، وقمت بربطها بسلاسل من حديد إلى السفينة بحيث يستحيل استخدامها قبل نسف هذه السلاسل ... وبذلك نضمن أنهما إذا كانَا جاسوسَين لن يُغامرَا بنسف السفينة وهما على سطحها!

هدأَت ثورةُ الربان قليلًا ثم قال: لقد أحسنتَ صنعًا ... متى سيأتيك الردُّ من «نيويورك» بشأن هذين الرجلين؟

جاك: غدًا ظهرًا يا سيدي؛ فقد أرسلت استعجالًا للمعلومات عنهما هناك!

وتأهب «جاك» لمغادرة حجرة القبطان وهو يقول: سأتركك الآن يا سيدي لتُكملَ نومك.

جزَّ الربان على أسنانه وهو يقول: وهل يمكنني أن أنام وهذان الشيطانان يمرحان فوق سطح سفينتي ويهددان بنسفها ... أُقسم لأن أنسفهما إذا ما كانت حقيقتهما كما ذكرتَ.

وفي الصباح غادر «عثمان» و«أحمد» قمرتَهما وهما يضحكان متظاهرَين بأن لا شيءَ يشغلهما ... وفوق مائدة الإفطار حاول بحارة السفينة أن يبدوَ سلوكُهم عاديًّا ... ولكن «عثمان» و«أحمد» لم يُخطئا نظرات البحارة المتشككة إليهما ... ولاحظَا أيضًا تجهُّمَ الربان واختلاسه النظرات إليهما بين الحين والآخر، وشهيَّته المفقودة للطعام.

أنهى الشيطانان طعامهما ... ثم صعدَا إلى سطح السفينة ... ولاحظ «أحمد» الخطوات المتلصصة خلفهما فالتفت إلى الوراء فشاهد أحد البحارة وهو يُسرع بالتواري في أحد الأركان، فهمس لـ «عثمان»: إن هناك مَن يراقبنا ... وهذا يعني أن الربان قد بدأ يشك فينا.

عثمان: ولكنهم حتى الآن لم يتأكدوا من حقيقتنا وإلا لحاولوا القبض علينا ... إن هذا يجعلنا نبادر بسرعة التحرك قبل تأكُّدِهم من حقيقتنا ... و...

لم يُكمل «عثمان» عبارتَه عندما وقعَت عيناه على زوارق الإنقاذ فوق حاجز السفينة وقد رُبطت بسلاسل من حديد ضخمة إلى الحاجز، وقد راح يتسكع حولها بعضُ البحارة. كان من الواضح أنهم يقومون بحراسة هذه الزوارق بطريقة غير مباشرة.

تبادل «أحمد» و«عثمان» النظراتِ في صمت ... وسارَا مبتعدَين عن المكان عائدَين إلى قمرتهما، وما إن أغلق «عثمان» بابَها حتى هتف متسائلًا: وما العمل الآن؟

أحمد: علينا أن نكون هادئَين تمامًا ... إنهم لم يتأكدوا من حقيقتنا بعد، وإلَّا لما تركونا أحرارًا.

عثمان: إنني أرى أن نقاتل هؤلاء البحارة الأغبياء للاستيلاء على أحد زوارق الإنقاذ لنُغادر به هذه السفينة، بعد أن نكون قد قمنا بتشغيل بعض قنابلها الزمنية لتنفجر فيها بعد مغادرتنا المكان.

أحمد: هذه خطة غير مضمونة النجاح وستَكشف حقيقتَنا ... إن لديَّ خطةً أفضل وهي أن نقوم بتعطيل محركات السفينة فتتوقف، فيُهرع بحارتُها والربان لمحاولة إصلاح المحركات، ويمكننا خلال هذا الوقت الاستيلاء على أحد زوارق الإنقاذ وتفجير السفينة.

هتف «عثمان»: فكرة جيدة، هيَّا بنا.

اتجه «عثمان» و«أحمد» إلى غرفة المحركات متظاهرَين بأنهما ذاهبان إلى عملهما. ولم يكن بالحجرة غيرُ اثنين من البحارة لم ينتبهَا إلى دخول الشيطانَين ... وعندما انتبهَا لم يكن باستطاعتهما عملُ شيء؛ فقد سقطَت قبضتَا الشيطانَين عليهما مثل المطارق فألقَت بهما إلى الوراء بلا حَراك ... وهكذا اندفع «أحمد» و«عثمان» إلى محركات السفينة يقومان بتعطيلها.

وفي نفس اللحظة كان ربَّان الباخرة و«جاك» مساعدُه جالسَين أمام جهاز اللاسلكي الصامت في توتُّر محموم …

فجأةً دبَّت الحياة في الجهاز، وبدأ الاثنان يتلقيان الرسالة القادمة عبر المحيط. وما إن انتهى بثُّ الرسالة حتى قفز الربان من مكانه صارخًا في غضب شديد: يا للشيطان … إن هذين الشابَّين كاذبان؛ فلم يحدث أن اتُّهمَا بجلب المخدرات أو سُجنَا، سوف آمرُ بقتلهما في الحال.

جاك: من الأفضل القبض عليهما أحياء لنعرف مَن هما ومَن أرسلهما إلينا؟

صاح الربان: لا، سوف أقتلهما فورًا.

واندفع خارجًا من حجرته، وصاح في بحارته المتجمعين في الخارج: ليتسلَّح كلٌّ منكم بكل ما تَصِل إليه يداه من أسلحة واتبعوني.

على الفور التقط البحارة كلَّ ما وصلَت إليه أيديهم واندفعوا خلف الربان إلى حجرة الآلات وهم يصرخون طالبين الانتقام.

التفت «عثمان» إلى «أحمد» مبتهجًا وهو يقول: لقد أوقفتُ المحركات وعطَّلتُها … سوف تُبطئ السفينةُ سرعتَها تدريجيًّا إلى أن تتوقَّف تمامًا.

أحمد: هذا حسن … دعنا نغادر هذا المكان بسرعة لإكمال بقية خطتنا.

وما كاد «أحمد» يطلُّ من باب الحجرة حتى دوَّى صوتُ رصاصة مرقَت بجوار أذنه، فأسرع «أحمد» بغلق باب الحجرة لاهثًا وهو يقول: يبدو أنهم اكتشفوا حقيقتنا وجاءوا لقتلنا.

عثمان: ماذا؟! ولكننا لم نتمكن من تلغيم السفينة لنسفها.

أحمد: يبدو أننا وقعنا بداخل مصيدة رهيبة ونحن حتى بلا سلاح.

وتعالَت من خارج الحجرة أصواتٌ شديدة غاضبة تُحاول تحطيم الباب الخشبي الضخم المغلق لحجرة المحركات، وقد انهالَت عليه الفئوس والبُلَط لتحطيمه.

أخيرًا تهاوَى الباب الضخم … وتدافع البحارة إلى داخل حجرة المحركات شاهرين أسلحتهم البدائية وهم يصرخون بالانتقام وقد تقدَّمهم الربان شاهرًا مسدسه.

سباق مع الزمن!

أطلق الربان عدة رصاصات ... ولكن لم يكن هناك أيُّ أثر لـ «أحمد» و«عثمان» بداخل حجرة الماكينات وتلفَّت الربان حوله في دهشة وهو يزأر: أين ذهبَا؟ ... ليس هناك مخرجٌ آخر لهذه الحجرة ...

صاح «جاك»: لقد قامَا بتخريب المحركات ... إنني أشعر أن السفينة تُبطئ من سرعتها ... فعلينا بإصلاح المحركات حالًا.

الربان: ليس قبل القبض على هذين الشيطانَين ... إنني أدفع نصف عمري لأعرف كيف اختفيَا من داخل هذه الحجرة المغلقة؟!

جاك: انظر أيها الربان.

وأشار أحدُ البحارة إلى إحدى الماكينات العريضة. وخلفها ظهرَت فجوة واضحة في جدار الحجرة الذي انتُزع من مكانه ثم أُعيد مرة أخرى في مهارة شديدة.

صاح الربان: إذن فقد هربَا من هنا. دعونا نطاردهما ... إنني آمركم بقتلهما في الحال ... لا أريدهما أحياء.

واندفع الربان وبحَّارته خارجين من الحجرة ... وساد الهدوء المكان.

فجأة تحرَّك شيء ما في سقف الحجرة خلف الماكينات الكبيرة ... وأطلَّ وجه «عثمان»، ثم وجه «أحمد»، وقفز الاثنان من مكانهما الخفي إلى قلب الحجرة ...

قال «عثمان» باسمًا: كانت خطة رائعة يا «أحمد» بخروجنا عبر الجدار المنزوع ...

أحمد: ولكننا على أي حال يجب أن نغادر هذا المكان؛ لأنهم سيعودون مرة أخرى هنا لمحاولة إصلاح الماكينات.

عثمان: سوف تكون مهمة فاشلة تمامًا؛ فقد أفسدتُ الماكينات إلى الحد الذي لن يمكن إصلاحها مرة أخرى.

لمعَت عيناه وهو يضيف: سأنسف هذه السفينة فورًا.

أحمد: انتظر يا «عثمان» ... إن لديَّ فكرة أفضل ... سنقوم بتلغيم السفينة لتنفجر بعد نصف ساعة من الآن ... فإذا نجحنا خلالها من الهروب والابتعاد عن السفينة كان حسنًا ... وإذا وقعنا في أيدي الربان وبحارته ... نكون قد أدينا واجبنا ... حتى ولو كان الثمن هو حياتنا، ففي النهاية لن تَصِل هذه الأسلحة إلى هدفها النهائي.

عثمان: معك حقٌّ ... هيَّا بنا ...

أطل «عثمان» برأسه في حذر ... لم يكن هناك أيُّ أثر للبحارة خارج حجرة المحركات ... واندفع الاثنان هابطَين لأسفل نحو مخزن السفينة المليء بصناديق القنابل ...

وفجأة تسمَّر الاثنان في مكانهما عندما صاح أحد البحارة: ها هما.

وقبل أن يندفع هاربًا من المكان ليُخبرَ باقي زملائه، طار «عثمان» في الهواء، وبضربة واحدة أطاح به إلى الوراء فاصطدم البحار في عنف وتهاوَى على الأرض فاقدَ الوعي، وأسرع «عثمان» و«أحمد» يهبطان لأسفل نحو مخزن السفينة الضخم. وفي مقدمة المدخل ظهر ستة من البحارة مسلحين بالبنادق التي سلَّحهم بها الربان للتخلص من «عثمان» و«أحمد». همس «عثمان» لـ «أحمد» في قلق: إن البحارة مسلحون بالبنادق ...

أحمد: ولكنهم لن يستطيعوا استخدامها على أي حالة خشيةً من أن تُصيبَ الرصاصاتُ الطائشة أحدَ صناديق الذخيرة فتنفجر السفينة بأكملها.

ولكن «أحمد» كان على خطأ في ظنِّه؛ فقد انطلقَت دفعةٌ من الرصاص نحوهما على نحوٍ مفاجئ، فأسرع الاثنان يُلقيان بأنفسهما فوق الأرض ليتحاشيَا الرصاص المنهمر كالمطر ... وزحف الاثنان ليحتميَا خلف جدار قريب ووقفَا في تحفُّز ...

اقترب أحد البحارة محاذرًا شاهرًا مدفعَه الرشاش، وكان نصيبُه ضربةً من سيف «أحمد» جعلَته يسقط على الأرض مثل جوال تبن، والتقط «أحمد» مدفعَه الرشاش وهو يقول: الآن صار لدينا سلاح.

عثمان: إن لديَّ فكرة، وسوف نقوم بتقسيم أنفسنا إلى قسمين، ستبقى أنت هنا تُشاغب مع البحارة بطلقات الرصاص الخفيفة، ولا بد أن بقية البحارة سينضمون إلى زملائهم هنا، فيخلو السطح من الجميع. وسوف يسهِّل ذلك لي التسلل إلى هناك ومحاولة تحرير أحد زوارق الإنقاذ لكي نتمكن بواسطته من الهرب من هذه السفينة الملعونة.

عثمان: فكرة جيدة.

أحمد: عليك بالصمود لأكبر وقت ممكن.

عثمان: لا تخشَ شيئًا فقد اعتدتُ مثل هذه المواقف.

وأطلق دفعةَ رصاص أجبرَت البحارة على الانسحاب للوراء ... واندفع «أحمد» إلى الناحية الأخرى وهو يعدو ... وصادفه بعضُ البحارة الهابطين لأسفل لمساعدة زملائهم، فاحتمى خلف جدار لكيلا يروه ... وابتعد البحارة مهرولين ...

والتقط «عثمان» بلطة من مكان قريب، ثم اندفع نحو سطح السفينة في حذر ... ولكن لم يكن هناك أحد، فاتجه إلى زورق بخاري سريع، وانهال بالبلطة فوق الجنزير الحديدي الذي يثبته في جدار السفينة ... وفجأة جاء صوتٌ ساخر من الخلف يقول: لقد توقعتُ هذه الخدعة أيها الشيطان الماكر.

استدار «عثمان» ببطء. كان الربان ومساعده «جاك» واقفَين شاهرَين مدافعهما الرشاشة في وجه «عثمان» على مسافة قليلة.

قال الربان بسخرية أشد: هل ظننتَ أنك ستخدعنا ... كنَّا متأكدين أن أحدكما على الأقل سيحاول تحريرَ أحدِ زوارق الإنقاذ للهرب بها ... ولكنكما لن تغادرَا هذه السفينة إلا إلى مكان واحد ... وهو الجحيم.

عثمان: سنرى مَن يستحق هذا الجحيم؟!

وطارت بلطة «عثمان» بسرعة لتصطدم بوجه الربان فألقَته من فوق حاجز السفينة إلى قلب المحيط. وانطلقَت رصاصاتٌ محمومة من يد «جاك» نحو «عثمان»، ولكن الشيطان الشجاع كان يتوقع ذلك، وفي نفس اللحظة كان يُلقي بنفسه على الأرضية ويتدحرج بسرعة، وقبل أن ينتبه «جاك» لما يقصده «عثمان» كان الشيطان الوسيم يعتدل أمامه ويقبض على «جاك»، وبحركة جودو بارعة وجد «جاك» نفسه يطير في الهواء، ثم يلحق بالربان في قلب المحيط ... والتقط «عثمان» مدفع الربان الذي سقط منه واندفع نحو أحد الزوارق السريعة وأطلق دفعة رشاش نحو السلسلة الحديدية التي تمسكه بالسفينة، فتحطَّمت السلسلة، وتهاوى الزورق في قلب الماء واستقر مكانه.

همس «عثمان» لنفسه: الآن قد تحقق الجزء الأول من خطتنا بنجاح ... لا بد أن «أحمد» بحاجة إلى مساعدتي، واندفع هابطًا لأسفل ... وكانت طلقات الرصاص على أشُدِّها وقد انكمش «أحمد» في مكانه يحتمي من طلقات الرصاص، فاندفع «عثمان» نحوه، وهو يسأله: ماذا حدث؟

أحمد: لقد نفد الرصاص من مدفعي الرشاش.

عثمان: ونحن لن نغامر بإطلاق مزيد من الرصاص على هؤلاء البحارة الأغبياء؛ فقد تنفجر السفينة بسبب ذلك ... لقد حررتُ أحد الزوارق البخارية السريعة وهو ينتظرنا للابتعاد عن هنا.

أحمد: لم يبقَ إذن غير تلغيم السفينة اللعينة لتتحول إلى جحيم مشتعل بالفعل.

أحمد: سأدور من الناحية الأخرى لكي أدخل مدخل الأسلحة لتلغيمه، وعليك بحماية ظهري. وأعطاه مدفعه الرشاش، واندفع «أحمد» جاريًا من الناحية الخلفية للسفينة، وحاول أحد البحارة مطاردتَه، ولكن رصاصات «عثمان» أقنعَته بالبقاء في مكانه ...

وأخيرًا وصل «أحمد» إلى أبواب المخزن الخلفية ... وكان يقف على حراستها اثنان من البحارة انقضَّ عليهما «أحمد» قبل أن يفطنَا حتى إلى وجوده ... واصطدمَ رأسَا البحَّارَين ببعضهما في صوتٍ مدوٍّ، فترنَّحَا ثم سقطَا على الأرض بلا حَراك.

اندفع «أحمد» إلى قلب مخزن الذخيرة ... كان المخزن ممتلئًا بعدد لا نهاية له من الصناديق التي بدَت بريئةَ المظهر في ظاهرها، ولكن «أحمد» كان يعرف أن عود كبريت واحد يمكن أن يحوِّلَها إلى جحيم مشتعل.

اتجه «أحمد» إلى أحد الصناديق وأزاحه في حرص ... وأخرج من جيبه مطواة حادة راح يعالج بها خشب الصندوق الثقيل ... وانفتح الصندوق بعد جهد ... ولكنه كان يحتوي على قنابل يدوية ولا توجد به قنابل زمنية.

همس «أحمد» لنفسه: إنني بحاجة إلى الحظ الحسن ... فالوقت يمر بسرعة.

واتجه إلى صندوق آخر وراح يفتحه ... وبداخل الصندوق شاهد عددًا من القنابل الزمنية. وعلى الفور امتدَّت أصابع «أحمد» إلى ثلاث قنابل منها، وأخذ يعبث فيها ليضبطها للانفجار بعد خمس دقائق فقط ... ووزَّع القنابل الثلاث في أركان المخزن ...

وعندما أتم «أحمد» مهمتَه اندفع يغادر المكان بأقصى سرعته، وقد تأكَّد له أنه قد صار في سباق مع الزمن مدتُه أقل من خمس دقائق فقط.

الجحيم المشتعل!

اندفع «أحمد» نحو «عثمان» وصاح به: هيَّا بنا، فليس أمامنا أيُّ وقت؛ فسوف تنفجر السفينة كلها في أقل من خمس دقائق.

ولكن، وقبل أن يتحرك الاثنان من المنفذ الوحيد المتاح لهما الهرب منه، اندفعت مجموعة من البحارة من الناحية الأخرى لتسد عليهما الطريق.

وانهال الرصاص على الشيطانَين من كل اتجاه كالمطر ... وجاوب «عثمان» طلقات الرصاص بدفعة متتالية من مدفعه، ثم التفت إلى «أحمد» في قلق شديد وهو يقول: إن كل منافذ الهرب مغلقة ومحاصرة بالبحارة المسلَّحين. ومدفعي الرشاش سوف ينفد منه الرصاص سريعًا ...

وفجأة ظهر أحد البحارة وهو يصوِّب مدفعه نحو الشيطانَين، وعاجله «عثمان» بدفعة رشاش ألقَت بالبحار مصابًا ... ولكن مدفع «عثمان» توقَّف عن إطلاق الرصاص بعد فراغ خزانته ...

ألقى «عثمان» بالمدفع على الأرض في غضب قائلًا: إن الحظ السيِّئ يُصرُّ على ملازمتنا في هذه السفينة الملعونة.

ألقى «أحمد» نظرةً إلى ساعة يده، وقال في قلق شديد: لم يَعُد باقيًا غير ثلاث دقائق فقط على انفجار السفينة.

ولمَعَت عيناه وهتف: إن لديَّ فكرة.

وأشار إلى نافذة مستديرة ضيقة على مسافة خطوات منه، وقال: إن هذه النافذة تُطلُّ على المحيط؛ فإذا تمكَّنَّا من الوصول إليها وقفزنا منها إلى الخارج ضمنَّا النجاة ... بشرط أن ننجوَ من رصاص البحارة.

عثمان: لا تخشَ شيئًا ... فإن رقصة الفهد تُؤمِّن ذلك بسهولة.

وقبل أن يفهم «أحمد» ما يقصده «عثمان»، اندفع الشيطان الأسمر طائرًا في الهواء بطريقة عجيبة وهو يتلوَّى في الهواء فطاشَت كلُّ الرصاصات التي انطلقَت نحوه في الهواء ... وبسرعةٍ خاطفة كان «عثمان» يقفز من النافذة الصغيرة الضيقة إلى قلب المحيط.

لم تكن إجادة «أحمد» في مثل تلك اللعبة الاستعراضية كإجادة «عثمان» ... ولكن لم يكن أمامه حلٌّ آخر. وقفز «أحمد» في الهواء يتبعه سيلٌ من الرصاص، ولكنه لم يأخذ طريقه إلى النافذة المفتوحة مباشرة التي انصبَّ عليها جحيمٌ من الرصاص، بل قفز جهة اليمين، وبلمح البصر كان يقفز إلى اليسار وتشتَّتَت طلقات الرصاص خلفه وهي لا تدري هدفه الحقيقي، وبنفس اللحظة كان «أحمد» يقفز من النافذة الضيقة إلى المحيط ...

وكانت السقطة من العنف بحيث غاص «أحمد» في الماء بقوة عدة أمتار لأسفل، وألقى نظرة إلى ساعته، تبقَّت دقيقتان فقط.

تلفَّت «أحمد» باحثًا عن «عثمان» في قلب الماء، ولكن لم يكن للشيطان الأسمر أيُّ أثر ... وصَعِد «أحمد» إلى وجه الماء، فانهال الرصاص عليه من كل مكان بالسفينة، ومرة أخرى غاص «أحمد» بعد أن أخذ نفَسًا عميقًا وسبح مبتعدًا عن مكان إطلاق الرصاص متجهًا إلى ركن السفينة حيث ترك الزورق البخاري السريع.

وصَعِد «أحمد» إلى سطح الماء أمام الزورق بالضبط ... وبداخله كان «عثمان» جالسًا بابتسامة عريضة ينتظره.

رفع «أحمد» يدَه بعلامة النصر، وقفز إلى الزورق، وألقى «أحمد» نظرةً أخيرة إلى ساعته قبل أن يُدير محركات الزورق ... تبقَّت دقيقة واحدة فقط ...

هتف «عثمان»: فلنبتعد عن المكان بأقصى سرعة؛ فسوف يتحول إلى جحيم خلال ثوانٍ.

أحمد: هذا الزورق سيؤمِّن نجاتنا وسنلجأ به إلى أقرب جزيرة على مسافة مائة كيلومتر شرقًا.

وانطلق «أحمد» بالزورق ... وفي نفس اللحظة دوَّى صوتُ رشاش سريع ... وشعر «عثمان» برصاصة تمرق بجوار وجهه، فهتف في غضب: هؤلاء الملاعين كادوا أن يصيبوني.

أحمد: هناك ما هو أسوأ.

وأشار إلى محرك الزورق الذي اخترقَته رصاصة، فبدأ يُصدر صوتًا مضطربًا، وتناقصَت سرعتُه وتوقَّف على مسافة قريبة من السفينة ...

صاح «عثمان»: لقد تعطل الزورق ... وليس أمامنا سوى ثلاثين ثانية فقط!

أحمد: فلنسرع بالسباحة مبتعدين ...

ألقى الاثنان بأنفسهما إلى قلب الماء ... وراحَا يسبحان بأقصى ما يستطيعان من قوة في سباق محموم مع الزمن.

كانت الثواني تمرُّ بسرعة شديدة ... وراح الشيطانان يُصارعان الموج والموت والجحيم المنتظر ... كانَا قد ابتعدَا بمسافة لا تزيد عن ألف متر ... وهي مسافة غير آمنة بأي حال من الأحوال ...

نظر «أحمد» مرة أخيرة في ساعته، وصاح: الآن ...

بنفس اللحظة أسرع الاثنان يغوصان في قلب المحيط ...

وبنفس اللحظة أيضًا دوَّى انفجار هائل كأنما انفجر بركان في قلب المحيط ... ودوَّى انفجارٌ ثانٍ وثالث وتناثرَت أجزاء السفينة «النجم المشتعل» على مسافة كيلومترات من المكان، وقد تحوَّل سطح الماء في نفس المكان إلى بقعة مشتعلة من الجحيم ذاته.

غاص «عثمان» و«أحمد» في قلب المحيط عدة أمتار مبتعدين عن المكان، ولكن الانفجار الشديد جعل قلب الماء يهتز بشدة، فاندفع الاثنان إلى الخلف كما لو كان قد لطمَتهما موجةٌ بحرية هائلة.

وشعر الاثنان بالماء يسخن حولهما كأنما شبَّت فيه النار.

وصَعِدَا أخيرًا إلى سطح الماء ... كانت آلاف القطع الخشبية الصغيرة متناثرة حولهما، وقد تحول مكان السفينة إلى كتلة من اللهب الذي تُغطِّيه سحابةٌ هائلة من الدخان.

ألقى «أحمد» نظرةً إلى مكان الزورق البخاري المعطوب ... ولكن لم يكن للزورق أيُّ أثر، فقال «عثمان»: إن قوة الانفجار دمرَت الزورق أيضًا ... ولو كنَّا فوقه لأطاح بنا الانفجار أيضًا.

أحمد: يبدو أنه لا يوجد ناجون غيرنا.

عثمان: إن هؤلاء البحارة السفاحين ممن يعملون في تهريب الأسلحة وبيع الموت لا يستحقون الشفقة.

أحمد: إن الأولى بانتقامنا وعقابنا هو ذلك الرجل الأسطورة ... فهو الرأس المدبر لكل هذا وبدون التخلص منه نكون كمَن قطع ذيل الحية لا رأسها.

عثمان: إن مهمتنا القادمة ... التي سنقطع فيها رأس الحية بإذن الله.

قال «أحمد» باسمًا: إنك تتحدث كما لو كنَّا قد ضمنَّا النجاة ... إن أقرب أرض إلينا تقع على مسافة مائة كيلومتر ولن يمكننا الوصول إليها سباحة.

ضحك «عثمان» فلمعَت أسنانه البيضاء وهو يقول: يكفي أننا على قيد الحياة ... فإن هذا يجعلني مليئًا بالأمل!

أحمد: من المؤسف إننا لا نمتلك جهازًا لاسلكيًّا للاتصال برقم «صفر» ليُرسل إلينا مَن ينتشلنا من المحيط.

عثمان: وهل تظن أن انفجار «النجم المشتعل» لم تلتقطه الأقمار الصناعية وأجهزة التجسس العالمية ... إن هناك مئات الأشخاص الذي يعرفون تمام المعرفة الآن بأن انفجارًا ضخمًا قد وقع في قلب المحيط.

أحمد: أرجو أن يكون رقم «صفر» قد وصلَته هذه الرسالة أيضًا.

وتعلَّق الاثنان ببعض الأخشاب الطافية فوق سطح الماء، تمدَّدَا فوقها ... وأغمض الشيطانان أعينَهما من الشمس الحارقة ... وبدَا عليهما كأنهما استغرقَا في النوم ...

ومر الوقت ببطء ... ثم أفاق الاثنان على الصوت الذي راح يقترب منهما ... وفتح الشيطانان عيونهما.

وعلى مسافة قريبة كانت طائرة هليكوبتر تحلِّق فوقهما.

وكان شعار الشياطين واضحًا فوق جسم الطائرة، فصاح «عثمان» مبتهجًا: ها قد أرسل رقم «صفر» ردَّه على رسالتنا بأسرع وقت!

وتدلَّى من الطائرة سُلَّمٌ مجدولٌ من الحبال، فالتقطه «أحمد» وشرع يصعد فوقه، وخلفه «عثمان» إلى أن صار الاثنان في قلب الطائرة التي تقودها «إلهام» والتي حيَّتهما باسمةً وهي تقول: إن رقم «صفر» يُرسل إليكما تحيَّاتِه وتهنئتَه.

وانطلقَت الطائرة بركَّابها إلى الشاطئ، تاركةً جزءًا من جهنم المشتعلة فوق سطح المحيط.

هنـــداوي